كلمة السفير خليل كرم المندوب الدائم للبنان لدى الأونسكو
بمناسبة ذكرى غياب الإمام موسى الصدر
(باريس في ١٣ أيلول ٢٠١٤)

سعادة ممثل دولة الرئيس نبيه بري
أصحاب السعادة والسيادة والسماحة
أيها الحفل الكريم

أهلاً بكم،

اجتَمعنا اليومَ مِن أجلِ الإنسان لِنَستَذكِرَ الإمامَ قولاً وفعلًا، فنتّذكرَ الإنسانَ بِعِمامَتِهِ وعَباءَتِهِ بَعد أنْ أَلقى الأخيرةَ على كَتِفِ كُلِّ لبنانيٍّ آمَنَ ويؤمِنُ بلبنانَ الكبير، وكَفَّنَ بها كُلَّ شهيدٍ سَقطَ ويَسقُطُ فِداءَ لبنانَ الواحد الموّحد، ورحل.

ولكن، قَبلَ الحديثِ عن ذاكَ الإمامِ وهذا الإنسان، لا بُدَّ مِن التوقفِ للحظاتٍ عندَ الرجلِ الذي، وإنْ عَرَفتَه، وكانَ لي الشرف بذلك، غابتْ عنكَ أشياءُ لامتلاكِهِ قُدراتٍ شتَّى تَلمُسُ وجودَها دونَ أنْ تُلامِسَها. فالداخلُ على مَجلِسِهِ، يَجِدُهُ قد اتخذَ مِن الزاويةِ رُكنًا وقد تَصدَّرَ بعيّنيهِ الحاذقتَينِ الحُضورَ مُتتبعًا دقائقَ الأمور، لا تَستَغيبُهُ شاردةٌ ولا واردة. فيشعرُ كلُّ جليسٍ بأنَّ الصدرَ يَخُصُّهُ هو وَحدَهُ بالحديثِ دونَ سِواه.

أمّا الإمامُ القادمُ مِن النجف الأشرف، بابِ عُلومِ آلِ البيت، مُتعمِّمًا بعلمِ الحوزة، مُكتسيًا حِكمَةَ شيوخِه، فقد أتى حاملًا معَهُ رسالةً إلى "بلدِ الرسالة" بإيمانٍ راسخٍ *"أنّ الأديانَ واحدةٌ في البدء والهدفِ والمصير"*، فهي في *"خدمةِ الهدفِ الواحد، دعوةٌ إلى الله وخدمةٌ للإنسان، وهما وجهان لحقيقةٍ واحدة"*. فهذا الإيمانُ الراسخُ في عَقلِ الإمامِ وقَلبِه، المُتَجذِّر في فِكرِهِ وعَمَلِه، كانَ الدافعَ الأوّلَ والأخير لانفِتاحِهِ على الغير، والمُنطلَقَ لِمُشارَكتِهِ في العَديدِ من المحاضراتِ والندواتِ في المَعابِدِ وفي الكنائسِ والجوامع وفي الجامعاتِ. فكانَ أن دخلَ "الندوةَ اللبنانية" إلى جانبِ ميشال أسمر، وشاركَ في الحوارِ المسيحي – الإسلامي مع المطران جورج خضر والشيخ صبحي الصالح وحسن صعب ويواكيم مبارك وغيرِهم وغيرِهم كُثر.

مِن هنا، ومِن خلالِ أسفارِه وجولاتِهِ، كَسِبَ احترامَ العديدِ مِنَ الشخصياتِ الدينيةِ والسياسيةِ والثقافيةِ والاجتماعية، ومدَّ أواصِلَ الصداقة والتعاونِ مع كبارِ رجالاتِ العالمِ فكانَ أوّلَ رجُلِ دينٍ مُسلِمٍ يُدعى رسميًا إلى حضورِ مَراسمِ تَتويجِ قداسَةِ البابا بولس السادِس.

وكما كان يَئِمُّ الصلاةَ، كانَ الإمامُ يؤُمُّ مَجالسَ الحوارِ حِفاظًا على "بلدِ الرسالة" وعلى العيش المشترك الذي هو *"أمانةٌ عالميةٌ في أعناقِ اللبنانيين، ومِيزةُ لبنانَ الخاصة."* فلبنانُ اليوم، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، *"ضرورةٌ حضاريةٌ للعالم، فإذا سقطتْ تجربَةُ لبنان أظلمتِ الحضارةُ الإنسانية."* فهذا البلدُ الذي أبحَرَ منه أبناؤه بالأبجديةِ وبالأُرجوان إلى شواطئ العالَم، حاملين شُعلةَ الثقافةِ والحضارةِ، قد يُصبحُ هذا الوطنُ في زمنِ الجهلِ والهمجيةِ مصدرَ أخطارٍ تَقُضُ المَضاجِع وتُزلزِلُ ضميرَ العالَم.

ويقينًا منه بالمسؤوليةِ التي تَقَعُ على عاتِقِ اللبنانيين، وقد جنّدَ كُلَّ جُهودِهِ وصداقاتِهِ في خِدمةِ لبنانَ ووحدَتِه، أطلقَ في الحادي عشر من أيّار عام ١٩٧٧، ورقة عملٍ تؤكّدُ على ضرورةِ الحفاظِ على استقلالِ لبنان وسيادتِهِ ووحدةِ أرضِهِ وشَعبِه، وعلى الالتزام بقضيةِ الإنسان التي هي *"من صُلبِ رسالتِهِ الحضاريةِ"*، وفيها مُطالَبَةٌ بتَعجيلِ إنشاءِ *"مَركز الأبحاثِ العلميةِ وعلوم الإنسان الذي قررتِ الأونسكو إنشاءَه في جبيل منذ سنوات، وبذلِ جميع الجهودِ لإرساءِ قواعدِهِ وتشييدِ بنيانِه، والاتصالِ الحثيث بجميع الدولِ والمؤسساتِ الثقافيةِ والماليةِ في العالم للإسهام في إقامتِهِ وتجهيزِهِ وتزويدِه بكل ما يحتاجُ إليه."* وفي هذا السياق، لا بُدَّ من الإشارةِ إلى أنّ المندوبية الدائمة للبنان لدى الأونسكو سَعت لإرساءِ قواعدِ المركزِ كما وتسعى لِتنشيطِ دورِه وتفعيلِهِ.

فالإمام كان استباقيًا في رؤياه السياسية، متقدمًا في فكرِه، مُعتصمًا بلبنانيتِه، نَستَذكِرُ أقوالَهُ ونَستَحضِرُ مواقِفَهُ فَنفتَقِدُها، ونَسترجِعُ خُطبَهُ المَخطوفَة فنحسبُ أنّها قِيلَتْ للتو، ونحسَبُ أنّ تاريخَ لبنان الكبير تواعدَ والإمام على لقاءٍ بَين مَغيبِ الواحِدِ والثلاثينَ من آب وفجر الأوّلِ من أيلول.

ولا بُدَّ من أن نَذكّرَ الإنسانَ، إنسانَ عامِلِ العامِلِ والمُكافح والمجاهِد لقهرِ الحرمانِ والجهلِ "فالعِلمُ نورٌ" يُضيئ سَراديبَ الجهلِ ليُحررَ الإنسانَ من قيودِ العبوديةِ إلى أجنحةِ المعرفةِ فيَهتَدي إلى الله، فِعلُ إيمانٍ وتقوى